خايف على البحر الكبير

لقد أخذتنى الذاكرة بعيدًا إلى الوراء، وكان عمرى حينذاك لا يتعدى الست سنوات عندما كنت أذهب أنا ومن فى سنى للعب على حافة البحر الكبير، كنا نجلس على الشاطىء ونمد أقدامنا وأيدينا فى البحر ونتمرمغ فى طين البحر ونحن فى منتهى السعادة، لا شاغل لنا إلا اللعب والمرح، وعندما كنا نحس بالجوع نرجع إلى بيوتنا لنأكل مما جاء به الوالدان، حياة مليئة بالبراءة وفى بعض الأحيان عندما نتأخر بجانب البحر ينشغل أهلنا ويرسلون أحدًا منهم للبحث عنا، ربما قد أصاب أحد منا مكروهًا، وعندما نصل إلى حارتنا التى نقطن فيها تتعالى الأصوات أين كنتم، لقد انشغلنا عليكم؟! فنرد كالعادة: كنا نلعب عند البحر الكبير وكنا لا نعرف حينذاك وفى هذه السن بأن اسمه نهر النيل وأنه شريان المياه لمصر إلا عندما دخلنا المدرسة وتعرفنا على اسمه الحقيقى، هذا النهر الذى يحمل ذكريات القدماء والأجداد والآباء وليس على المصريين فقط، بل على جميع الدول المطلة على نهر النيل، حتى غنى أبناء الوطن أغنيات لها تعبير وجدانى، يا نيل يا هدية الإله والنهر الخالد وأجيال متعاقبة على

جريان هـذا النهـر وحـدث مـا لم يتوقـع فى الحسـبان مـن تطـورات وتقلبات بشأن حصة مصر من مياه النهر، وأخـذ الشـد والجـذب فى هذه القضية الأكثر حساسية عن أية قضية تمس أمن الوطن، وأخذت حكومتنا والجهات المعنية بشـئون حـوض النيـل بـالتحرك إلى دول الجنوب لخروجنا من هذا المسلسل المنسق ضد مصـر، وهنـا جـاء دور رئيسـنا مبـارك عنـدما تحتـدم الأمـور وعنـدما تصـل إلى عنـق الزجاجة كما يقولون، وهنـا أوصـى الـرئيس مبـارك فى هـذا الشـأن بالقرارات والتوصيات الصائبة بأنها لغـة الحـوار الأولى لأنهـا قضـية تمس أمن مصر وشـعبها وقضـية حيـاة أو مـوت، فـأعطى تعليماتـه بالتفاوض بعقلانية حفاظًا على حقوق مصر المشـروعة مـن الضـياع وبالتأنى والعمل بالدبلوماسية الهادئة والتحلى بالصبر وعـدم التهـور فى المحادثات والحد من التصريحات التـى مـن شـأنها عرقلـة سـير المفاوضات لدى دول المنبع. هذا هو مبارك الرجل العظيم بخبراته السابقة وبالحنكة التى يتمتع بها حتى نخرج من هذه الأزمـة بسـلام، ولقد انتابنى إحساس عميق بالأمل بعد تصريحات رئيس بعثة الـرى المصرية فى أعالى النيل بأن لدينا بدائل غيـر تقليديـة لزيـادة المـوارد المائية، ولابد من التعامل معها بجدية.

الله معنا.

مجلة النهار عدد: اكتوبر 2010 م